

العنوان:	نمط عيش قواد البوادي المغربية : نموذج قائد قبيلة عبدة ، عيسى بن عمر االعبدي
المصدر:	مجلة أمل
الناشر:	محمد معروف
المؤلف الرئيسي:	فنيتير، المصطفى
المجلد/العدد:	مج 8, ع 22,23
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2001
الصفحات:	200 - 213
رقم MD:	413453
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	HumanIndex, AraBase, EcoLink
مواضيع:	العبدي ، عيسى بن عمر ، البدو ، المغرب ، قبيلة عبده ، شيوخ القبائل ، التراجم ، الهيكل التنظيمي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/413453

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.



للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

فنيتير، المصطفى. (2001). نمط عيش قواد البوادي المغربية: نموذج قائد قبيلة عبدة ، عيسى بن عمر االعبدي.مجلة أمل، مج 8, ع 22,23 ، 200 - 213. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/413453

إسلوب MLA

فنيتير، المصطفى. "نمط عيش قواد البوادي المغربية: نموذج قائد قبيلة عبدة ، عيسى بن عمر االعبدي."مجلة أملمج 8, ع 22,23 (2001): 200 - 213. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/413453

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

نمط عيش قواد البوادي المغربية

نموذج قائد قبيلة عبدة، عيسى بن عمر العبدي


المصطفى فنيتير*

الموضوع هو محاولة وصفية لإبراز طراز الحياة التي كان يعيشـــها قـــواد البوادي المغربية في الفترة المعاصرة، وذلك من خلال القيام بدراسة وصفية لنمـــط عيش قائد قبيلة عبدة المصنف ضمن مجموعة القواد الكبار لجنوب المغرب، ولـــن ترقى هذه المحاولة إلى مستوى المقارنة أو التعميم، لأن عملا من هذا القبيل يحتـــاج إلى دراسة نماذج أخرى وربما قد يطرح قضايا أخرى من نوع خاص.

ولكي أحيط ببعض جوانب الموضوع،سأركز في هذه المحاولة على المحاور التالية:

* المرتكزات التي كانت تنبني عليها القيادة في البوادي المغربية { الثابت في القيـادة داخل البوادي من خلال نموذج قيادة بادية عبدة}.
* الصفات العامة لنمط عيش قائد قبيلة عبدة، عيسى بن عمـــر العبـــدي {الجـــانب الوصفي للحياة الداخلية للقائد}.
* القصبة كمظهر متميز لنمط عيش قواد البوادي المغربية { قصبة القـــائد كبـــلاط مصغر}.
* جهاز القيادة كأداة لممارسة السلطة { الهيكل التنظيمي لممارسة ســـلطة القيـــادة وفرض السلطة}.

---

* أستاذ باحث من كلية الآداب / مراكش.

المرتكزات التي كانت تنبني عليها القيادة في البوادي المغربية (نموذج قيادة بادية عبدة).

- الأصل الاجتماعي للقائد.

القائد عيسى بن عمر ينتمي إلى أسرة أرستقراطية من أعيان قبيلة البحاترة من عبدة، كان لها تأثيرها المادي والمعنوي لمدة تزيد عن نصف قرن حيث توارث بعض أفرادها منصب الشياخة والقيادة داخل القبيلة، مما جعلها تحتل مكانة متميزة ومرموقة لدى المخزن.

- هذا الأصل الاجتماعي جعل عيسى بن عمر يحصل على منصب القيادة ليس بطريقة قسرية، أو قهرا ضد القبيلة، بل لأن الرصيد الاجتماعي لأسرته هو الذي أهله لتقلد هذا المنصب.

- إذا أضفنا إلى ذلك، أن عيسى بن عمر اكتسب تجربة قبل توليه منصب القيادة وذلك حيثما كان يتولى النيابة عن أخيه القائد محمد بن عمر، لمدة تزيد عن خمسة عشر سنة، استطاع خلالها أن يؤكد قدرته على تحمل المسؤولية خصوصا وأنه عزز مكانته حينما قام بحيازة متروك أخيه بعد وفاته، واحتفظ بثرواته وممتلكات أسرته. هذا الأصل الاجتماعي والمركز القوي لأسرة بن عيسى هما اللذان جعلا منه المرشح الوحيد لقيادة قبيلة البحاترة من عبدة.

- المرتكز الشخصي أو المؤهلات الشخصية للقائد.

لم يكن الأصل الاجتماعي وحده كافيا، بل كان لابد من توفر بعض الصفات الأخرى لمن سيتولى منصب قيادة القبيلة والتحكم فيها وضبط شؤونها، وما نتوفر عليه من وصف أو تقرير لحالة أهل البادية خلال ق 19 وبداية ق 20 يجعلنا نقر بأن التحكم فيها لم يكن أمرا سهلا، وأسوق في هذا الصدد الوصف الذي تركه بوعشرين(1) حول الوضع في البوادي يقول :" وها أنت ترى ما عليه الرعية في البوادي من التثاقل والتمارض وتربصها بالدوائر، ومهما بقي الأمر على هذا الحال، فإنه لا ترجى استقامة بالمغرب ولا هناء، لأن قبائل المغرب جافية الطباع في الغالب، ومن لم يكن ذا شدة وقهرية فلا يطمع في الحكم عليهم قولا واحدا ... وهذا ما يدلك على أن أحوال المغرب لا تستقيم إلا بمجاوزة الحد من الأحكام ومزج اللين بالشدة ولا سيما أهل البوادي، الذين أمرهم مشهور ومعلوم في كل النوادي".

يؤكد هذا الوصف للحالة، أن التحكم في البوادي يستلزم شخصية قوية تمتلك من الصفات ما يجعلها قادرة على ردع أهل البوادي بشدة وقهرية.

فهل كان عيسى بن عمر يتوفر على هذه الصفات ؟

- ما يعرف عنه أنه كان رجلا صلبا قويا في مواجهة المواقف الصعبة التي كانت تتطلب الحزم والصرامة. ونستطيع أن نتعرف على جوانب من شخصيته بعد تتبعنا لما كتب عنه من أوصاف:

* يقول فايسجربر Weisgerber الذي كان طبيبا خاصا للوزير أحمد بن موسى والذي تعرف عليه منذ سنة 1898 في إحدى الحركات السلطانية يقول :"لطيف المعشر، صديق أمين وخصم عنيد"(2).

* كما وصفه الصحفي الفرنسي أوجين أوبان Eugène Aubin الذي زار عبدة حوالي سنة 1903، وقال عنه :"قائد عبدة عيسى بن عمر من أكبر رؤساء المغرب ... كانت أسرته تتوارث منصب القيادة لمدة 60 سنة ... هو شخصية قوية جدا ويعتبره الجميع سيدا عجيبا"(3).

* كما قال عنه الصبيحي، الذي كان ناظرا لأحباس آسفي في السنوات الأولى من عهد الحماية:"هو القائد السفاح الشهير، والحجاج بن يوسف الثقفي الثاني ... إنه الاسم الذي ترتعد منه الفرائص"(4).

* وأشار المختار السوسي على لسان إدريس ولد منو في رواية له يقول:"ولا عيب فيه إلا كثرة الفتك بأهل قبيلته، فما أسهل إزهاق الروح عنده"(5).

هذه الأوصاف مجتمعة، تجعل من القائد عيسى بن عمر رجل سلطة حقيقي، فهو شخصية قوية جدا ترتعد منها الفرائص وقادر على الفتك بأهل القبيلة فالشدة والعنف والقهرية كانت من صلب ممارسة السلطة القيادية، وهي الوسيلة التي كانت تمكن قواد البوادي من ممارسة سلطتهم وإخضاع قبائلهم، إنها المظهر الملازم للسلطة.

ولم يكن يحظى القائد، بعد تعيينه، بأي دعم عسكري أو مادي من طرف المخزن، بل عليه أن يواجه القيادة اعتمادا على مؤهلاته وإمكانياته الشخصية، وأن يؤكد جدارته وقدرته على قيادة القبيلة، لذلك كان القائد يسعى إلى تأمين موقعه وتدعيم مركزه اعتمادا على وسائل متعددة، من بينها:

- مرتكز الثروة والمال = تجميع الثروات لمواجهة مهام القيادة.

كان الهم الأول للقائد هو أن يسعى إلى جمع الأموال واكتنازها لمواجهة أعباء القيادة من جهة، ولأن الثروة والمال هي التي كانت تعطي للقائد الأبهة والعظمة التي كان في أشد الحاجة إليها من جهة أخرى. ومصادر ثروة القائد في معظمها نابعة من منصبه كقائد، هذا المنصب الذي كان يخول له فرص متعددة تمكنه من ابتزاز أموال القبيلة، إما باسم المخزن أو باسمه الشخصي.

كما كان القائد يفتعل وسائل متعددة لمصادرة أموال وممتلكات القبيلة وهناك مجموعة من الإشارات في هذا الصدد تبين الأسلوب الذي كان يمارسه القائد عيسى بن عمر ضد أعيان قبيلته لمصادرة ثرواتهم، يشير الكانوني إلى ذلك بقوله:"إن أحد الأعيان ضايق القائد فالتجأ إلى مدينة آسفي، وتحايل عليه القائد حتى

عاد إلى البادية، وتخديرا لأعصابه ولاه شياخة أولاد سلمان الذي هو به، ثم انقض عليه أخيرا وأودعه السجن حتى توفي به[6]. ونفس الشيء قام به ضد أحد أعيان الميسات من قبيلة العامر، حيث جعله شيخا تحت سلطته[7]، ليتمكن منه ومن ثرواته فيما بعد.

هذه الأساليب لم تكن في العمق سوى وسائل وحيل ابتدعها القائد لإرغام الأعيان والفلاحين الميسورين على الاختيار بين شيئين، إما التخلي عن بعض ممتلكاتهم وتقديمها طوعا للقائد، وإما الاعتقال والسجن إلى أن يتم تقديم فدية كبيرة لإطلاق سراحهم.

وقد شاع هذا الأسلوب داخل قيادة عيسى بن عمر، وأدى إلى هجرة السكان وفرارهم من سطوته، وفي هذا الصدد كتب محمد بن العربي الطريس النائب السلطاني بدار النيابة بطنجة رسالة إلى السلطان مولاي عبد العزيز يقول فيها:"...إن سببها (الهجرة) معاملة عاملهم القائد عيسى بن عمر بالقسوة والجفاء والغلظة من استصفاء الأموال وجلد الظهور والسجن وغيره من عظائم الأمور..."[8].

- مرتكز توسيع القاعدة الاجتماعية عن طريق المصاهرة وتعدد الزبانية.

المصاهرة من الأساليب التي اعتمدها القائد لتثبيت مكانته الاجتماعية وتوسيع قاعدة زبانيته داخل القبيلة ومع محيطها. وكان القائد عيسى بن عمر يختار أصهاره من الأسر المخزنية العريقة ذات المكانة الاجتماعية النافذة سواء داخل القبيلة أو خارجها.

* داخل القبيلة:
  - تزوج - ابنة عمه القائد أحمد بن عيسى
  - " - أرملة أخيه القائد محمد بن عمر (وهي في نفس الوقت بنت القائد أوبلا الرحماني - قائد الرحامنة).
  - " - بنت الحاج محمد بن ملوك الزرهوني الزيدي شيخ فخدة أولاد زيد.
* خارج القبيلة:
  - تزوج - بنت قائد قبيلة أحمر المجاورة لعبدة.
  - " - بنت قائد قبيلة الرحامنة أوبلا الرحماني (لتأمين موقعه مع جيرانه من قبيلتي أحمر والرحامنة).
* من المخزن:
  - تزوج أرملة السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان ويذكر فايسجربر أن السلطان هو الذي زوجها له[9].

كما تحتفظ الذاكرة الشعبية برواية عن السيدة فاطنة أرملة السلطان بأن لها الفضـــل في إدخال بعض التقاليد والأعراف المخزنية إلى قصبة القائد، وأن القــــائد أصبــح يسير وفق نمطها ويطبقها في حياته اليومية.

وتنسجم هذه الرواية مع ما نقله المختار السوسي على لسان إدريس ولد منو حين قال :"إنه في معرض غيرة المولى الحسن من تشبه قواده من البدويين بـــه، أن زوجة لعيسى كانت تقرأ وتكتب، وكانت قيمة داره أتم القيام ... فلا يغدو عيســـى أن يعلمها ببطاقة تصلها فإذا هي تقوم بكل شيء، وإن بلغ ذلك من الكثرة مـــا بلـــغ فكتبت إليه مرة بطاقة فيها، أن الغذاء سيدي موجود، ففي أي محل يوضع، فوقع لها توقيعا ملوكيا... فبلغت البطاقة نفسها المولى الحسن، فغرمه غرامة باهظة"(10).

* من الزاوية : – تزوج بنت شيخ زاوية السي صغور البزيوي من بـــزو لتدعيـم موقعه الديني داخل القبيلة واستغلال إشعاعها خارج القبيلة.

هذه بعض الثوابت التي كانت تتبني عليها القيادة داخل البـــوادي المغربيـــة ونموذج عيسى بن عمر يمثل أكبر مشخص لها.

الصفات العامة لنمط عيش القائد عيسى بن عمر.

ــ الجانب الوصفي للحياة الداخلية للقائد

القائد عيسى بن عمر جمع من الصفات ما جعله يمثل نموذجا متميزا داخـــل قبيلته، وإن يرقى إلى مستوى عيش قريب من حياة الأرستقراطية المخزنية داخـــل المدن، وهو أمر طبيعي، طالما أن القائد هو الممثل للمخزن داخل القبيلة من جهـــة وأنه هو المحتكر للثروة والنفوذ من جهة أخرى.

وسأحاول إعادة تركيب الصورة المتميزة للقائد من خـــلال تتبـــع أوصــــاف حياته ورصد نمط عيشه:

– **الشكل المميز للقائد:** كان شكله يتميز عن باقي فلاحي القبيلـــــة. وقـــد وصفـــه فايسجربر بقوله:"وجه جميل محاط بلحية رمادية قامته متوسطة ورشيقة ... كــــانت يداه ورجلاه الأرستقراطيتان محط اهتمام وعناية فائقة ... كان يعانـــي من مـــرض الروماتيزم، ومن جرح قديم في رجله مما جعله يمشي بصعوبة..."(11).

هذا الوصف الذي كان للقائد وهو في سن السبعين من عمره، ومع ذلك، فقد ظل وجهه جميلا لأنه عاش منذ صباه في بحبوحة من العيش ولـــم تلفـــح حـــرارة شمس قبيلة عبدة محياه الوسيم، وكانت يداه ناعمتان لأنهما لم تتأثرا بأعمال الحـــرث والغرس وباقي الأعمال الشاقة، إنه الابن الذي تربى في يسر ونعيم من الحياة.

– **لبـــاس القائـــد:** " كان يلبس باستمرار عباءة كثـــيرة الطيـــات مـــن الموصلـــي الأبيض ويتخذ سلهاما أبيضا ناصعا"(12). فلباســـــه لا يختلـــف عـــن لبـــاس الفئـــة الأرستقراطية المخزنية داخل المدن، لباس يتميز بلونه الأبيض النـــاصع، ونوعيتـــه الفاخرة المنتقاة من أثواب الملف المستورد وغيره، ومنها كان القائد يتخذ الجلابيـــب

والسلاهيم وغيرها، ومن الأثواب المحلية كان يختار "البزيوي" لرقته وجودته. أما بلاغيه فهي من الصنف المراكشي أو الفاسي الأصفر منها أو الأبيض حسب المناسبات. أما باقي الملبوس فهو من الكتان على شكل كساء وفرجيات وسراويل وغيرها، وما يتبع ذلك من حمايل ومجاديل ... الخ.

كان القائد يتزين أحيانا بخنجر محمول وساعته الصدرية كانت من ذهب وكان يحمل تحت حزامه من الجهة اليمنى مسدسا لم يكن يفارقه إلا نادرا.

هذا النوع من اللباس الرفيع هو الذي كان يميز القائد عيسى بن عمر عن بقية الأعيان الآخرين، بل إنه كان يتخذ أرقى أشكال الألبسة والزينة في المناسبات أو أثناء الزيارات التي كان يقوم بها للبلاط المخزني خصوصا في مناسبات الأعياد، مما كان يجعله مرموقا بين باقي قواد البوادي.

- **ثقافته وأخلاقه** : لم يكن مطلوبا من القائد أن يكون متعلما أو حتى عارفا بمبادئ القراءة والكتابة، بل كان الكثير من قواد البوادي جهال أو أنصاف جهال والقائد عيسى بن عمر مما يظهر بعد تفحص خطه وتعاليقه على الرسائل الواردة من المخزن، أنه لم يكن يجيد الكتابة، فخطه رديء بحروف ضخمة وأحيانا غير مقروءة، ولغته تميل إلى اللهجة المحلية، بأخطاء إملائية، مما يؤكد أنه لم يتجاوز المرحلة الأولية من التعليم داخل المسيد، واكتفى بتعلم المبادئ الأولية للقراءة والكتابة وبعض أصول الدين والشريعة.

ومع ذلك فقد كان مولعا باقتناء الكتب والمخطوطات، وقد بادر بشراء مجموع متروك أخيه القائد محمد بن عمر من الكتب التي كانت تتجاوز المائتين من أمهات الكتب وحازها بمبلغ ألف ريال"(13). لكن الرصيد الثقافي الحقيقي للقائد هو التجربة والممارسة التي اكتسبها باحتكاكه اليومي بالمشاكل التي عاشها بجانب أخيه لما كان خليفة له منذ أن كان سنه لا يتجاوز العشرين سنة من عمره، وهذه الممارسة هي التي شحذت شخصيته.

كانت البيئة التي ترعرع فيها القائد تجعله إنسانا متشبثا بالتقاليد ومحافظا على الأصول والأعراف، يقدر مسؤولياته ويقوم بواجباته الدينية في وقتها ويلزم أبنائه وحاشيته بمشاركته الصلاة.

كان يحلو له دائما أن يردد على مسامع زواره بأن قصبته تشبه الزاوية حيث كان يمنع دخول كل المحرمات إليها، ويذكر فايسجربر في هذا الصدد:"أنه لم يسمح لأية شيخة أو راقصة بربرية بتجاوز عتبة قصبته سواء بعبدة أو بدوره الأخرى في مراكش وفاس"(14).

- **السخاء والكرم (صفات القائد)**: من الصفات الأخرى التي كان يتميز بها القائد السخاء والكرم، وهي صفة حافظت عليها القبيلة، وكانت تزيد من فخر صاحبها وترفع شأنه ومقامه داخل القبيلة.

وكان القائد عيسى بن عمر، بسخائه وكرمه يستقبل يوميا عددا كبيرا من الوافدين عليه من مختلف جهات القبيلة، وكان يقدم لهم بسخاء ما كانوا في حاجة إليه، أو ما جاءوا في طلبه.

وكان المظهر الأساسي لهذا الكرم والسخاء يظهر في الولائم التي كان يقيمها لنزلائه من الضيوف والزوار، حيث كان يقدم لهم كل ما لذ وطاب من مأكولات ومشروبات، ويتفنن في إكرامهم بتقديم الشاي في كؤوس زاهية وأواني مزخرفة تأخذ بلب الناس من القبيلة، ويذكر فايسجربر أن القائد " كان يذبح يوميا ثورا واحدا وعشرين خروفا ومئات من الدجاج"(15).

هذا القدر من الذبائح يبين عدد الولائم التي كان يقيمها القائد يوميا، والتي كانت تجعله في نظر العموم رجلا كريما مضيافا وسخيا، ويحصل بذلك على المهابة والتقدير، وهي من الصفات التي يجب أن تتوفر في قواد البوادي، وهذا ما أشار إليه الأستاذ توفيق بقوله : "لكي يحكم القائد، كان عليه أن يباهي ويستضيف ... وأنه مضطر إلى أن يكون مبذرا كبيرا حتى تتحقق له الأبهة اللائقة"(16). وقد حافظ القائد على هذا النمط من حياته وزاد عليه أكثر.

ويذكر القاضي العربي الدكالي الذي كان من كتاب وملازمي الوزير الصدر المدني الكَلاوي"... أن السلطان تصيد يوما، فبلغ وقت الغذاء، وكان غذاءه أبطأ، فاستأذن الكبار الذين معه في إحضار ما تيسر ... فأحضر المتوكَي دجاجا وشيئا من لحم مطبوخ، فإذا بالعبدي أحضر الشيء الهائل من أنواع الطواجين من الدجاج واللحم والشواء وكل شيء، فتعجب كل من حضر، قال : وكان العبدي أكثر الناس أطعمة وأنداهم، ولا يعرف القليل من أي شيء"(17).

- **الفروسية وإتقان الرماية والقنص:** كان القائد يتقن فنون الفروسية والرماية والقنص، ويذكر فايسجربر "أنه كان فارسا بارعا ومحاربا مقتدرا وصيادا ممتازا"(18).

وكانت الفرصة المواتية للتعبير عن هوايته هي الصيد، وكان يوفر لممارسة هذه الهواية كل الوسائل الضرورية، حيث كانت مرابضه تضم أسرابا من كلاب الصيد تزيد عن مائتي سلوقي زيادة على طيور الصيد"(19). وكان القائد يخرج إلى الصيد في موكب ضخم يضم حاشيته وخدامه وبعض ضيوفه أو مدعويه، وكانت مدة الصيد تطول أحيانا وقد تزيد عن أسبوع، وتمثل هذه المناسبة للقائد فرصة يتفقد خلالها بعض الجهات من قيادته، وأحيانا يختبر ويعاين قوة فرسانه عن طريق إقامة استعراضات لألعاب الفروسية، وكثيرا ما كانت الأفخاد والدواوير التي يمر منها القائد تتحمل إقامة الولائم الفخمة لاستقبال موكب الصيد.

لذلك لم يكن موكب الصيد يمثل مظهرا من مظاهر الترفيه فقط، بل كذلك مناسبة يتفقد من خلالها القائد أحوال قيادته، وبهذا المعنى، فهي قد تمثل مظهرا من مظاهر الحركة المخزنية !

قصبة القائد : كمظهر متميز لنمط عيش قواد البوادي / البلاط المصغر للقائد.

هي المقر الرسمي والدائم للقائد، وهي مظهر من مظاهر العظمة ورمز من رموز القوة والسلطة. بناؤها المعماري، وتوزيع مرافقها، يكشفان عن عقلية القائد ونمط حياته الداخلية الذي كان يحاكي ما كان يراه لدى ارستقراطي المخزن في الحواضر، إنها بالفعل البلاط المخزني لقائد البادية.

- **موقع القصبة** : تقع قصبة القائد عيسى بن عمر بفخدة التمرة من قبيلة البحاترة بعبدة تم البناء الأول لها سنة 1866، تمتد على مساحة شاسعة، ولا تبعد عن مدينة آسفي إلا بحوالي 25 كلم.

- القصبة في شكلها العام عبارة عن قلعة كبيرة محصنة بأسوارها العالية لا يمكن ولوجها إلا من خلال مدخلها الرئيسي المحروس بدقة من طرف حراس وأعوان القائد.

- يعبر بناؤها وشكلها المعماري على عقلية القائد الذي تفنن في هندستها وزخرفتها بما كان يضاهي قصور ورياضات رجالات المخزن بمراكش.

- تتوفر القصبة على مياه غزيرة متدفقة من بئر يسمى "بوكشور" وهو الذي منح الحياة للقصبة.

تضم القصبة عدة مرافق ما يجعلها "كالبلد الصغير" حسب تعبير الصبيحي(20). لذلك سنقوم بتفكيك هذه المرافق لنتمكن من معرفة الحياة الداخلية للقائد من خلال قصبته.

- **مرافق السكن والإقامة** : هو المجال الذي يغطي ثلث القصبة، وهو عبارة عن دور لسكنى القائد وحريمه وأبنائه وباقي أفراد أسرته وخدامه المقربين، وتقدر هذه الدور بما يفوق العشرين دارا، كانت كلها تتوفر على المستلزمات الضرورية للسكنى والإقامة، ومن أهمها:

* **دار الإقامة** : وهي الدار المخصصة لإقامة القائد وبها عدة أجنحة:

- جناح الضيوف: وهو عبارة عن روض مربع مبني على النمط الفاسي بأسفله أربع "قباب" متقابلة مزينة بزليج ممتاز وسقوف متقونة من "الكايزة" وبالوسط نافورة.

بالطابق العلوي : مقصورة على شكل منزه بها غرفتان تطلان على ممتلكات القائد الشاسعة والممتدة. معظم مفروشات هذا الجناح تتكون من الأفرشة النفيسة والنادرة من حرير وقطن وصوف، مزينة بستائر من "البرينتك" وزرابي تركية مستوردة ومرايا إنجليزية وسطارم من الجلد وبيض المهور.

- يلحق بهذا الجناح : جناح لسكنى الـقائد وحرمه، وهي عبارة عـن "دويريـات" تـقيم بها زوجات الـقائد الشرعيات والأحرار وهي محاطات بـالخدم والجـواري على اختلاف أشكالهن. وقد ورث القائد عن أخيه 117 جارية، وأضاف إلـى ذلـك مثله أو أكثر.

* السكن الخاص بالأبناء: كان القائد إذا بلغ أحد أبنائه من الذكور سن الرشد يسكنه خارج بيته وحريمه بالدور المخصصة لذلك، ويكفي أن أذكر بأن عدد أبناء القـائد من الذكور 29 ومن الإناث 18.

- **حراسة القصبة** : كانت القصبة محروسة من كل الجهات بأسوارها العالية وكان بابها الرئـيسي محروس بدقة من طرف حراس الـقائد، وهـم في نفـس الوقـت "البوابـين والـمشاورية"، ولا يمكن أن ينفذ إلـيها أحد إلا بأمر منهم، وكان علـى رأسهم:

- حارس الباب الخارجي "أبا حسين" وكان على اتصال بكل الوافدين على القصبـة لمقابلة القائد ولقضاء الأغراض.

- حارس الباب الداخلي "بامرزوق" كان على اتصال بـالمرافق الداخليـة للقصبـة وبدار القائد، ولا يسمح لأي زائر أجنبي بولوج القصبة إلا بإذن من عريفـة الـدار "مسعودة الشاوية" وهي جارية القائد والقائمة بأمور الدار الداخلية.

- مقر حراسة القصبة : في الجهة الخلفية من القصبة، كان يوجد مقر قائد حـراس القصبة وهم في نفس الوقت قوة القائد وحرسه. وكان على رأسهم "الســي قـدور" القائد الأعلى لحراس القائد.

- **مرافق القيادة داخل القصبة**: كانت القصبة كذلك مقرا لممارسة السلطة القياديـة ومنها كانت تصدر الأوامر والأحكام، حيث كانت محكمـة القـائد داخـل قصبتـه والمحكمة عبارة عن غرف ثلاثة، مازالت بعض معالمها واضحة خصوصا منـها القاعة الخاصة التي كان يجلس فيها القائد لممارسة الأحكام والفصل في النزاعـات. وهي عبارة عن قاعة متسعة ومزلجة وسقفها مزخرف.

- بقاعة المحكمة كان القائد يعقد جلساته بمحضر الفقهاء والعـدول للنظـر فـي القضايا المعروضة. وكان يقف على باب القاعة مخزنيان من خدام القائد مهمتـهما إدخال المتقاضين بالتتابع لقاعة الجلسات، فيقوم القائد باستفسـارهما عـن طبيعـة الدعوى ويستجوبهما لمعرفة كل عناصر القضية، ثم يستعين بعد ذلك بآراء الفقـهاء والعدول، ومن خلالها كان يستقي حكمه. وقبل إصداره كان يردد دائما "اللهم اجعـل التقليد على من كَال لي هذا". لذلك فإن القائد، في أعين المتقاضين، لم يكن جـائرا ولا ظـالما، لأنه لم يكن يـصدر الأحكام بمفرده، بـل العدلان اللذان يحكمان بمـا تـنص عليه الشريعة وبما يتلاءم مع الأعراف. وبهذه الطريقة كانت تـبرأ سـاحة القائد أحيانا.

وتشير الكاتبة الإنجليزية فرنسيس مكنب التي زارت محكمة القائد حوالي سنة 1901، وتقول:"إن هناك أشياء يبث فيها بسرعة فائقة فالمتهمون يطاردون ويعتقلون ويسجنون ويحاكمون، وتصدر عليهم الأحكام، كل ذلك في فترة لا تتجاوز أكثر من ساعة ونصف، كما لو كان الأمر يتعلق بمباشرة لعبة مهمة"(21). وترتبط بالمحكمة الأماكن المخصصة للاعتقال والسجن، وهي على صنفين:

- صنف مخصص للاعتقال المؤقت "البنيقة" كان يتم فيها الاحتفاظ بالمتهم لفترة وجيزة.

- صنف آخر هو عبارة عن معتقلات رهيبة مبنية على شكل دهاليز مغلقة ومغطاة بسقف نصف دائري، ضيقة ومظلمة، يبلغ عددها خمسة، كان يطلق عليها محليا اسم "البردوز" وهي كانت تستعمل للخارجين عن طاعة القائد أو المحكوم عليهم بأقسى العقوبات.

ـ المرافق الخاصة:

* اسطبلات لتربية الخيول: على اختلاف أنواعها، وعلى الخصوص الجيدة منها وكان اسطبل القائد يضم حوالي أربعمائة فرس(22)، حيث كان الفرس وسيلة حربية تؤكد التفوق الحربي للقائد.

* مطامير لخزن التموين: حيث كانت القصبة تتوفر على مجموعة من المطامير الخاصة بخزن التموين الذي كان يحتاجه القائد، من حبوب على اختلاف أنواعها بالإضافة إلى مطامير الزيت وغيره.وهذه المدخرات كانت تجعل القصبة في وضعية من الاكتفاء الذاتي لمدة طويلة من الزمن، وهي في نفس الوقت كانت تؤمن القبيلة من مخاطر كل عوز محتمل إما بسبب المجاعة أو القحط أو الجفاف أو حتى احتمال حصار أو حروب. وكان جانبا من المخزون يصرف أحيانا على الضيوف والأقارب ويستعمل كذلك في تبادل العطاء لتوسيع شبكة العلاقات الاجتماعية للقائد.

* الصناعات والحرف: كان بالقصبة مجموعة من الحوانيت، يقال أنها كانت مخصصة لبعض اليهود جلبهم القائد إلى القصبة ليقوموا ببعض الصناعات اليدوية التي كان القائد وأفراد حاشيته في حاجة إليها، كالخياطة وصياغة الذهب والفضة وغيرها.

ويذكر "دوتي"Doutté أثناء زيارته لعبدة " أن لا وجود لليهود بعبدة فقط بقصبة القائد حيث وجودهم حديث لا محالة"(23). وتذكر رواية شفوية أن القائم بأمر الصرف داخل القصبة كان يهوديا.

- المرافق الدينية:

* تضم على الخصوص مسجدا، ما زالت بعض معالمه قائمة الذات، خصوصا منها الأقواس النصف دائرية ومقصورة الإمام. ولعل المسجد كان يستعمل أيضا لتعليم أبناء القائد مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن وأصول الدين.

* كما يوجد مقر للزاوية التيجانية، ويحكى أن القائد كان ينتمي لهذه الطريقـــة، وأن ابنه إدريس هو الذي قام ببناء الزاوية وتأثر بهذه الطريقة جل أبناء القائد، وكـــانت تقام بهذه الزاوية احتفالات ليلة عيد المولد النبوي الشريف التي يشرف عليها القائد.
* المقبرة : بها مدافن وقبور عدد من أفراد أسرة القائد وبعض أفراد القبيلة وتسـمى مقبرة "ابن الشتوكي" نسبة إلى أحد مجاذيب القبيلة، وبها قبر القائد بعـد نقلـه مـن مدينة سلا.

إن ما كانت تحويه قصبة القائد من مرافق متنوعة وحيوية، تجعل كل زائـر لها مشدوها ومنبهرا أمام عظمتها وهندستها وزخرفة بيوتها. وإذا أضفنا إلى ذلك مـا كانت تحويه من أثاث على اختلاف أنواعه من أوانـــي الفضـــة وكـؤوس البلـور وغيرها، كل ذلك كان يجعل الزائر للقصبة منبهرا أمام مظاهر الثراء وهو النمـــط الذي كان يميز حياة القائد.

وهذا ما جعل فايسجربر يقول عن القائد وقصبته:"ســيد إقطــاعي، يديـر أقطاعه وأملاكه من داخل قصبته، محاط بأبنائه وإخوانه وخدامه الذيـــن يكونـون حاشية كبيرة لا تقل عن مائتي فارس تمتطي أجود الخيول المغربية"(24).

جهاز القيادة كأداة لممارسة السلطة: الهيكل التنظيمي لممارسة سلطة القيادة وفرض السيطرة.

إذا كان القائد عموما منذ توليه القيادة "لا يحصل لأداء مهامه على أي عـون عسكري أو إداري من طرف المخزن، بل يعتمد في ذلك على قوتـه المحليـــة"(25). فإن من حسن حظ القائد عيسى بن عمر أنه ورث عن أخيه جهازا قائما ومتمرســا من الأعوان يساعدونه في ممارسة وظيفة القيادة والقيام بأعبائها.

واعتبارا أن القائد كان يتمتع بصلاحيات واسعة ومطلقة لانتقــاء مســاعديه وأعوانه، فإنه عادة ما كان يختارهم من أقــرب أقربائــه ويتخــذ منــهم حاشــيته ومرافقيه. كان هؤلاء الأعوان والمساعدين يكونون جهازا تابعا للقائد يسخرهم فـــي قضاء مهمات مختلفة خاصة كانت أو مخزنية، "وكان له زهــاء مائــة وخمســين مشاوري... بالإضافة إلى خدام آخرين"(26).

التنظيم الهيكلي لجهاز القائد: هذا التنظيم كان على النمط المخزني بكل مســتوياته فهو عبارة عن هيكل إداري بسيط يستجيب لحاجات القائد في مواجهـــة مأموريتــه والقيام بمهامه إزاء المخزن من جهة وإزاء القبيلة من جهة أخرى. والمعروف مــن تنظيم هذا الجهاز أنه كان يصنف إلى ثلاث مستويات:

1 – مستوى الأعوان المقربين من القائد: وهم بمثابة الجهاز المساعد للقائد، ويضم:
* خليفته: وهو اليد اليمنى للقائد، يتم اختياره من بين أفــراد أســرته، وكــان أول خلفائه هــو محمد ابن عمه القائد أحمد بن عيســى، وكـان يــلقب "بــالحنزاز"

لجحوض عينيه، لصلابته وشدته، لذلك اختاره القائد لينوب عنه في بعض المهام أو أثناء غيابه.

* كاتبه الخاص: وهو بمثابة رجل السر بالنسبة للقائد، كان يتولى قراءة الرسائل الواردة على القائد ويقوم بالرد عليها، وبواسطته كانت تصدر الأوامر المكتوبة عن القائد إلى قبيلته بعد أن يضع عليها خاتمه. وكان على علم بكل ما يجري داخل القيادة. ومن كتابه المعروفين الحاج عبد السلام الشعالي والطاهر ابن القائد أحمد بن عيسى (ابن عمه).

* حارسه الخاص: هو الحارس المرافق للقائد في كل تنقلاته، وإليه كان يوكل تنفيذ المأموريات الخطيرة، والمعروف منهم "الجيلالي زعاطة" اختاره القائد لحنكته وتجربته وأمانته. وتذكر الرواية الشفوية، أنه كان قائدا في المشور السلطاني بمراكش لدى مولاي الحسن، ولأسباب مجهولة تم اعتقاله وحبسه في السجن، لكنه فر منه والتحق بالقائد عيسى بن عمر الذي تدخل لدى السلطان يطلب شفاعته، وبعد العفو عنه استخدمه في حراسته الخاصة، وأصبح منذ ذلك الحين وفيا وأمينا في خدمة القائد.

2- مستوى الأعوان القائمين بالسخرة والأمور المخزنية : وهم عادة الساهرون على تنفيذ أوامر القائد، أو الساهرون على نقلها إلى أشياخ ومقدمي القبيلة وكانوا أحيانا يسخرون في مهام خاصة بأمر من القائد. وهم عادة مرتبطون بالقائد يعيشون من عطاءاته.والمعروف منهم : بلخير التبات، والعربي زعزاع، ولكن أشهرهم :

- سويلم : الذي قالت عنه الشيخة حويدة: "طاح سويلم طاح، حتى من عاودو دلوه سياده".
- بنموسى: الذي كان يكلفه القائد ببعض المهام الصعبة. وتذكر الرواية الشفوية أن القائد أرسله إلى قيادة الشياظمة لتقصي أخبارها على إثر قيام بعض الاضطرابات، وبعد تحرياته أرسل بنموسى إلى القائد رسالة يقول فيها:"أما الطيور البرية فلا وجود لها، أما القروع فحدث ولا حرج". وأعجب القائد بذكائه فقربه إليه.

3 ــ مستوى الأشياخ والمقدمين : كانوا يمثلون عمدة القائد في إدارة القيادة، يتولون الإشراف على القبيلة ويقومون بمراقبتها وترصد كل المعلومات حول أفرادها وكانوا هم أدرى بشعابها، وكان اختيارهم يتم من بين الأعيان. وعادة ما كان الشيخ أو المقدم عند توليته يقدم هدية نفيسة للقائد كعربون على المحبة والطاعة. ومن بين الأشياخ المعروفين نذكر : أحمد بن مسعود البحتري الزبيري، وحميدة بن الجيلالي الزروالي، سعيد بن عدى السوسي.

خلاصـة أوليـة.

1 – قواد البوادي والقائد عيسى بن عمر من ضمنهم كانوا يشكلون إطـــارا إداريــا وسياسيا اعتمده المخزن لضبط القبائل، فهم حلقة أساسية في السياسة المخزنيـــة إزاء النظام القبلي. هذه الوضعية المتميزة للقواد أعطتهم مكانة اجتماعية وسياسية داخـــل المنظومة المخزنية، وأصبحوا بسببها يؤلفون شريحة اجتماعيـــة ملتصقـــة بالبنيـــة الاجتماعية للقبيلة، ومتجانسة مع السياسة المخزنية، فالقائد في البادية، كما لاحظنـــا ملتصق ببنية قبيلته ومتجذر فيها، أي أنه ملتصق بالتشكيل الاجتماعي داخل المجـــال القبلي، والمخزن كان حريصا على احترام ومراعاة خصوصية هذا التشكيل، ولذلـــك كان يكرسه ويضفي عليه الشرعية.

* المخزن يضفي الشرعية على الوضع الاجتماعي القائم داخل البادية المغربية.

2 – يكتسب القائد، بعد تعيينه من طرف المخزن بظهير، مكانة متميزة داخل القبيلـــة تجعله يمارس سلطة شبه مطلقة، ويسعى لاستثمار هذه المكانـــة بـــالحصول علـــى المزيد من المكاسب المادية والمعنوية. وينتج في النهاية عن هذه الوضعية تكريـــس الفوارق الاجتماعية داخل البادية، إذ أن كل تقرب من المخزن إلا ويضفـــي علـــى صاحبه امتيازات ومكاسب مادية.

* المخزن بهذه الصفة كان يكرس الفوارق الاجتماعية داخل البادية.

3 – هذا النمط الذي كان يعيشه القائد عيسى بن عمر كان يشترك في جـــزء كبـــير منه مع باقي قواد البوادي، وهذا التقارب في نمط العيش يجعل قواد بوادي الجنـــوب ينتسبون إلى شريحة اجتماعية متقاربة في وضعها الاجتماعي ودورهـــا السياســـي. وهذا ما قد يفسر مشاركة هذه الشريحة الاجتماعية في التطور السياسي الذي عرفـــه المغرب في بداية هذا القرن.

* دعم حركة المولى عبد الحفيظ – اعتماد الفرنسيين على قواد الجنوب.

الـهـوامـــش :

1) — بوعشرين : التنبيه المعرب.
2) — Weisgerber ، ص. 331.
3) — Aubin ، ص. 26.
4) — الصبيحي ، ص. 2 – 10.
5) — السوسي – مائدة ، ص. 85.
6) — جواهر ، ص.113.
7) — Aubin ، ص. 26 – 31.
8) — رسالة بتاريخ 16 ذو القعدة 1324 – دار النيابة خ.ع. 2720 ك رسالة رقم 236.
9) — فاسيجربر ، ص. 331.
10) — السوسي ، حول المائدة... ،ص.84.

11) — فاسيجربر ، ص. 330.
12) — نفسه ، ص. 330.
13) — كناش تركز بعض القواد ، خ.ع. 96 (ورقة 12 – 15).
14) — فاسيجربر ، ص. 331.
15) — فاسيجربر ، ص. 333.
16) — توفيق اينولتان ، ص. 471 – 476.
17) — السوسي ، حول المائدة، ص. 74.
18) — فاسيجربر، ص. 330.
19) — نفسه ، ص. 333.
20) — الصبيحي ، ص. 2.
21) — عبد المجيد بنجلون، جولات في مغرب أمس 1901، ص. 107.
22) — فاسيجربر، ص. 332.
23) — E. Doutté ، ص.189.
24) — فاسيجربر ، ص. 332.
25) — جاموس، الرضى والبركة – (دور القواد المحليين) نص معرب، المجلة المغربية لعلم الاجتماع س1 / عدد 2 / 87، ص. 76.
26) — أوجين أوبان، ص. 22.